

المدرسة الوظيفية :

أخذت المدرسة الوظيفية اتجاهها العلمي على يد مجموعة من علماء النفس والفلاسفة الأمريكيين على رأسهم وليم جيمس ، وجون ديوى ، وجيمس أنجل ، وهارفى كار ، وود ورت وغيره كثيرون ممن كان لهم اهتمامات بهذا الاتجاه. بالإضافة إلى أن الفيلسوف الإنجليزي هربرت سبنسر يعد من أوائل الذين وضعوا أساس هذا الاتجاه ، حيث كان يعتقد أن فهمنا لعلم النفس لا يجب أن يقتصر على معرفة ما يدور في الشعور فقط ، بل يجب أن تؤخذ البيئة أيضاً في الاعتبار فكل الحوادث أو العلاقات في داخل الكائن الحي كانت متصلة بطريقة ما بالبيئة المحيطة بهذا الكائن. والحياة العقلية ليست بعيدة عن الحياة الجسمية من حيث أنها تكيف مستمر بين العلاقات الذاتية الداخلية والعلاقات البيئية الخارجية وبناء على ذلك فقد استبدل التساؤل الرئيس عند أنصار المدرسة البنائية عن "ما هو الشعور" ؟ إلى تساؤل آخر عند أصحاب هذه المدرسة. "ما هو الغرض من الشعور ووظيفته" ؟ بمعنى أن الوظيفة أو الفعل أصبحت محل اهتمام هؤلاء العلماء والفلاسفة بدلاً من الاهتمام بالبنية والمحتوى عند تيتشنر. ولذلك فقد أعتبر الشعور عند الوظيفيون نشاط له غاية بيولوجية ، أي نشاط له منفعة خاصة في تمكين

الكائن العضوي من التكيف للظروف الجديدة . وهذه النظرة البيولوجية لا تقتصر على الاستجابات الشعورية الواضحة ، بل تشمل أيضاً الاستجابات الآلية التي يغيب فيها الشعور أو يتضائل إلى حده الأدنى . ويوضح ذلك جيمس أنجل بقوله : أن الشعور يصبح "الأداة الرئيسية" لعملية التكيف مع البيئة حين لا تسعفنا الأفعال الموروثة أو الوسائل الآلية ، والمثال التالي يوضح هذه الفكرة عند "أنجل" فأنت حينما تقود سيارتك تجد أن إدارة عجلة القيادة وعمل القدم على ضابط البنزين أو الفرامل أو الدبرياج ، تقتضي القيام بعملية معقدة من التآزر الحركي تترك إنجازها بنجاح لجهازك العصبي . فإذا كنت تقود سيارتك في مواقف غير خطره استطعت أن تنسى أنك تقود سيارة . ولكن إذا ما لاحت أمامك سيارة أخرى فجأة أو غير متوقّعه ، شعرت فوراً بقيادتك للسيارة ، وأسعفك الشعور لينقذك من الموقف . وبذلك يتضح أن تركيز المدرسة الوظيفية ينصب على أنه يجب فهم الشعور على أنه أحد الوسائل التي يستعين بها الإنسان لكي يتكيف مع بيئته ، وذلك بالتعاون مع حالته الجسمية حين يفشل النشاط اللاشعوري ، وتنظم العمليات الشعورية وفقاً لعملية التكيف مع البيئة .

ووفقاً للمدرسة الوظيفية يمكن تحليل الشعور إلى عمليات حسية وعمليات تذكر ، وتخيلات واستدلالات ووجدانيات إلى غير ذلك. فنجد مثلاً جون ديوى يقوم بتحليل النشاط العقلي - رغم علمنا بأن التحليل الذي قدمه جون ديوى يقوم على التحليل المنطقي البحث - حيث يتساءل عن : كيف يفكر الإنسان ؟ فيجيب على هذا التساؤل بتحليله للتفكير التأملي في خطوات مستقلة على النحو التالي :

- الشعور بالمشكلة.

- تحديد وتعريف المشكلة.

- استنباط ما يتضمنه الحل المقترح من نتائج عن طريق الاستدلال.

- إجراء الملاحظات والتجارب التي تؤدي إلى قبول الحل المقترح أو رفضه.

ورغم انتشار هذا التحليل لعملية التفكير عن جون ديوى إلا أنه لا يوجد دليل تجريبي يجعلنا نقبله أو نرفضه.

ونجد امتداد هذا الاتجاه في تحليل "والاس" لمراحل عملية التفكير عند بعض العلماء المبتكرين ، إلا أنها تبدو أكثر دقة ، كما توجد بعض الأدلة التي تدعم هذا التحليل عند "والاس" كما يقدمه وفقاً للمراحل التالية:-

- ١- مرحلة الإعداد : أي الجمع الأولى للمعلومات والبيانات حول المشكلة والموضوع.
- ٢- مرحلة التخمر : وهي مرحلة سلبية يقصد بها أنه بعد أن يقوم الفرد المبتكر بجمع المعلومات حول المشكلة فإنه يُنحى هذه المعلومات جانباً - رغم أنه لا يلاحظ أي شيء ملاحظه شعورية - إلا أن شيئاً ما يظل مستمر في الحدوث لأنه فيما بعد وفي لحظة عابرة يقدم أفكاره الجديدة والمبتكرة.
- ٣- مرحلة التنوير : وفيها يقدم الشخص المبتكر هذه الأفكار الجديدة أو الحلول المبتكرة.
- ٤- مرحلة التحقق : حيث توضع تلك الأفكار للاختبار للتأكد من صوابها أو صلاحيتها. وتتجه الوظيفة المعاصرة إلى الالتزام بالمنهج التجريبي ، ويعد "ملتون" أوضح ممثليها في الوقت الحاضر ، ويبدأ تحليله بعملية التكيف كما يقترحها "لاشلي" والتي تبدأ بمشكلة ، تنشأ عن عائق ، يحول دون استمرار النشاط المعتاد للشخص.